مجلة دراسات بيت المقدس، 2019، 19(3): 467–495
DOI: 10.31456/beytulmakdis.645926

آثار بيت المقدس العثمانية: دراسة لمجموعة صور أرشيفية لكريزويل من سنة 1919 إلى 1920م

أمل محفوظ أحمد*

ملخص: يتناول هذا البحث آثار بيت المقدس العثمانية: دراسة لمجموعة صور أرشيفية لكريزويل من سنة 1919 إلى سنة 1920، من خلال دراسة لمجموعة صور أرشيفية لمجموعة خاصة بالباحثة قام بتصويرها عالم الآثار الإسلامية الإنجليزي "كيبيل أرتشيبلد كاميرون كريزويل"(Keppel Archibald Cameron Creswell) أو "كريزيول" الذي قام بزيارة المشرق الإسلامي في الفترة من سنة 1919 إلى سنة 1920، تلتها عدة زيارات إلى المشرق الإسلامي حتى سنة 1924 قبل أن يستقر بمصر، ويبدأ عمله بها في معهد الآثار الإسلامية ولجنة حفظ الآثار العربية، ومن ثم البدء في عمل مؤلفاته وأبحاثه ومقالاته عن الآثار الإسلامية في العالم الإسلامي. كان "كريزويل" ضابطا في الجيش الإنجليزي عندما بدأ رحلته من لندن اتجاه المشرق العربي، فكانت أولى محطة رحلته الطويلة في مجال الآثار الإسلامية في القدس أثناء الاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى، ثم انتقل إلى مصر سنة 1917، ثم سافر إلى سوريا سنة 1919 بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى؛ حيث قام كريزويل بتصوير مدن سوريا التي كان يُطلق عليها اسم سوريا الكبرى، وتضم سوريا ووادي الأردن وعَمان والعراق، تلتها عدة زيارات للقدس قام فيها بتصوير وتوثيق أثار بيت المقدس وفلسطين، مخلفا وراءه مجموعة كبيرة من هذه الصور التاريخية. تحتفظ الباحثة بجزء كبير من صور بيت المقدس وآثاره التي قام "كريزويل" بتصويرها في مجموعتها الخاصة الشخصية، وهي نسخة أصلية قام كريزويل بطباعتها في لندن في الغالب، وأعاد طباعتها فيما بعد طوال فترة حياته، وحتى وفاته سنة 1974 وأهدى نسخة منها للجامعة الأمريكية بالقاهرة The American University in Cairo، أما اللوحات الزجاجية أو النيجاتيف الخاص بالصور فإنها موجودة في متحف الأشموليان Ashmolean Museum بأكسفورد بإنجلترا. ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: خاص بالأحداث التاريخية ببلاد المشرق العربي في أوائل القرن العشرين، ويتناول هذا القسم المؤامرات التي تمت على بلاد المشرق العربي، والخلفيات التاريخية التي أدت إلى قيام الحرب العالمية الأولى ثم انتهائها، وأثر ذلك على بلاد المشرق العربي والدولة العثمانية. أما القسم الثاني: فهو خاص برحلة "كريزويل" إلى المشرق العربي وبيت المقدس وتوثيقه لبعض الآثار الموجودة به. والقسم الثالث فيه عرض لبعض الآثار التي يرجع تاريخها للعصر العثماني من خلال الصور التي قام بتصويرها كريزويل، ونبذة تاريخية ومعمارية عن كل أثر.

الكلمات المفتاحية: بيت المقدس، القدس، كريزويل، الاحتلال البريطاني، الدولة العثمانية.

* مدير عام النشر العلمي بوزارة الآثار، مصر، amelmahfouz2015@gmail.com

Ottoman Monuments of Bayt al-Maqdis: A Study of Creswell's archival photographic collection from 1919 to 1920

ABSTRACT: *This research deals with the ottoman monuments of Islamicjerusalem through studying Creswell's archival photographic collection from 1919 to 1920. Which were taken by the English Islamic archaeologist "Keppel Archibald Cameron Creswell" or "Creswell" who visited the Muslim Orient between 1919 and 1920 before settling in Egypt where he started to work at the Institute of Islamic Archaeology and Preservation of Arab Antiquities in Egypt where he began his works, researches and articles on Islamic monuments in the Islamic world. Creswell was an officer in the British army when he began his journey from London to the Arab East, the first stop of his long journey in the field of the Islamic monuments was in Jerusalem during the Period of the British Military occupation after the end of the First World War. Creswell photographed the monuments in Jerusalem and Palestine and after that he travelled to Syria in 1919 and photographed the cities of Syria which was called Greater Syria (which included Syria, The Jorden Valley, Amman and Iraq), before travelling to Egypt. The researcher retains a great part of photos of Jerusalem and its monuments that Creswell photographed in her personal collection, and it is an original copy that Creswell printed mostly in London and later reprinted the photos throughout his life until his death in 1974 and he gave a copy to the American University in Cairo and the negatives are held in the Ashmolean Museum in Oxford. This paper is divided into three section: the first deals with the historical events in the Arab East in the early twentieth century. This section deals with the conspiracies that look place in the region and the historical background that led to the launch of the First World War and its impact on the Arab East and the Ottoman Empire. As for the second section, it deals with Creswell's Journey to the Arab East and Jerusalem and his documentation of their monuments. As for the third section, it presents the monuments dating from the Ottoman Era through the photographs Creswell took and a historical and architectural summary of each monument.*

KEYWORDS: *Bayt al-Maqdis, Jerusalem, Creswell, British Mandate, Ottoman Empire.*

مقدّمة

يعد بيت المقدس، أو مدينة القدس من أهم وأقدم مدن العالم، فلقد كانت لبيت المقدس أهمية ومكانة خاصة عند الحكام، فأنشأوا حوله الأسوار الدفاعية التي تخللتها الأبراج والأبواب الحصينة، التي تمنع دخول الغرباء والأعداء. وبيت المقدس مدينة لها أهمية خاصة في الديانات السماوية، فيطلق عليها اليهود أرض الميعاد، وهي محل ميلاد السيد المسيح عند المسيحيين، وعند المسلمين هي أولى القبلتين، وأحد المساجد الثلاثة التي يشد إليها الرحال، ومسرى رسول الله، ومعراجه في رحلة الإسراء والمعراج. ولقد مر بيت المقدس على مر العصور بأحداث تاريخية جسام؛ حيث ظل مطمع العالم من حوله، لما له من بركات وقدسية خاصة، اجتابه بها الله عز وجل، فظل طوال تاريخه منذ أقدم الأزمنة وحتى عصرنا الحالي محل الصراعات والحروب.

لقد اهتم العثمانيون ببيت المقدس شأنهم شأن من كان قبلهم من الحكام والولاة على مر العصور التاريخية اهتماما كبيرا. وقد بدأ العصر العثماني في بيت المقدس بسقوط دولة المماليك علي يد السلطان سليم الأول بعد موقعة مرج دابق سنة 1516.[1] وفتح مصر، ومن ثم فتح باقي المناطق، والاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية، حيث حدد السلطان سليم الأول أملاك الدولة المملوكية من ملاطية وحلب ودمشق والقاهرة وديار الصعيد والحبشة واليمن حتى القيروان طولا، ومن الحجاز ومكة والمدينة والقدس الشريف.[2]

وقد بدأ تاريخ بيت المقدس العثمانية بزيارة السلطان سليم الأول[3] لها في ديسمبر سنة 923هـ/1516م بعد هزيمة السلطان الغوري. حيث زار المسجد الأقصى، وصلى به، وترك حامية بها لحمايته.[4] إلا أن أزهى عصور بيت المقدس العثمانية كان في عصر السلطان سليمان القانوني (1520–1566)،[5] الذي أنشأ بها المؤسسات، وأوقف الأوقاف الكثيرة، وشجع كل أنواع العمران الديني والخيري بها، وأعاد بناء أسوارها التي هدمها الملك المعظم عيسى.[6] ومنذ مطالع القرن الحادي عشر الهجري، القرن السابع عشر الميلادي استقرت إدارة القدس باعتبارها سنجقا تابعا لولاية دمشق، وقد انقسمت فلسطين في العهد العثماني إلى مقاطعات، منها القدس وغزة ونابلس، وكانت كلها تتبع ولاية الشام إداريا، وخارج هذه المقاطعات إمارات تتبع مركز الولاية مباشرة.[7]

ولما تولى محمد علي باشا حكم مصر، وانفرد بحكمها سنة 1805، استطاع ابنه إبراهيم باشا أن يسيطر على منطقة فلسطين سنة 1831، ويدخلها تحت حكم مصر ضمن ما أدخله من بلاد الشام،[8] إلا أن الدولة العثمانية استطاعت أن تعيد بيت المقدس إليها، لتدخل القدس تحت الحكم العثماني سنة 1840 مرة أخرى، وفي سنة 1887 أصبحت القدس ولاية تخضع للإدارة المركزية في الدولة العثمانية،[9] ثم بعد عام واحد دخلت نابلس وعكا داخل حدود هذه الولاية، عندما تأسست ولاية بيروت، وبذلك انقسمت فلسطين إلي شطرين، فصار الجزء الشمالي ولاية تتبع بيروت، أما الجزء الجنوبي للأرض المقدسة فترك أمره لإدارة القدس، وقد ظل العثمانيون يهتمون بالقدس وتقسيماتها الإدارية؛ حيث ظلتا فلسطين وبيت المقدس يخضعان لحكم العثمانيين، الذي استمر إلي نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1916 وحتي في عهد الانتداب البريطاني بعد الاعتراف بحدود نهر الأردن، ودخول فلسطين العثمانية في هذا التقسيم مع وجود تحديات ومؤامرات كبيرة.[10]

ظل بيت المقدس وفلسطين محل اهتمام سلاطين الدولة العثمانية، حتى تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم سنة 1293هـ/1876م، فازداد التنافس بين الدول الأجنبية على القدس، وتأسست قنصليات جديدة في عهده.[11] وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بدأت المؤامرات على الدولة العثمانية والمنطقة العربية فكان أن منيت مصر بضرب الإسكندرية سنة 1882، ومن ثم احتلال مصر والسيطرة عليها في

عهد الخديوي توفيق، وهو الأمر الذي عبر عنه السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته بقوله: إن انجلترا *"عملت على كسر شوكة مندوبنا السامي في مصر، وتمكنت من تجريدنا كل شيء لنا في مصر"*.[12] وعلى الرغم من أن الخديوي عباس حلمي الثاني حاول مساندة السلطان عبد الحميد الثاني وتركيا ضد إنجلترا ومقاومة الاحتلال الإنجليزي في مصر عن طريق دفع الحركات الوطنية، وتعزيز دور الدولة العثمانية مقر الخلافة في العالم الإسلامي[13]، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل نتيجة لتنامي الحركة الصهيونية العالمية واليهود، ومؤامرات إنجلترا في تقسيم أملاك الدولة العثمانية، الأمر الذي أدي في النهاية إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم، ومن بعده الخديوي عباس حلمي الثاني من مصر الذي اعتبر مساندا للخلافة العثمانية.

ومنذ القرن الثامن عشر الميلادي ونهاية القرن التاسع عشر، نتيجة لأطماع إنجلترا والدول الأوربية في أملاك الدولة العثمانية، بدأ ظهور ما عرف باسم المسألة الشرقية نتيجة النزاع بين الدول الأوروبية، وخاصة إنجلترا وبين الدولة العلية العثمانية على أملاكها،[14] وازدياد حركات الاستيطان ومحاولة تسكين اليهود في فلسطين، وهو الأمر الذي رفضه السلطان عبد الحميد الثاني قبل ذلك، وما تبعه فيما بعد، خاصة تصريح بلفور[15]، وما تلاه من أحداث تاريخية باتفاقية سايكس بيكو مما أدي إلى احتلال فلسطين.[16]

كريزويل وتوثيق آثار بيت المقدس

بدأ القرن العشرين بخلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908، ثم خلع الخديوي عباس حلمي الثاني في مصر، والذي كان أيضا آخر خديوي لمصر سنة 1914.[17] وتم تعيين الأمير حسين كامل بن الخديوي إسماعيل سلطانا على مصر سنة 1914،[18] ومن ثم إعلان الحماية على مصر. وبعد وفاة السلطان حسين كامل، تولى الحكم أخوه السلطان أحمد فؤاد الأول –الملك أحمد فؤاد فيما بعد– سنة 1917، وذلك مع تزامن قيام أهم حدثين في العالم؛ وهما الحرب العالمية الأولى سنة 1914،[19] وما يطلق عليه الثورة العربية الكبرى سنة 1916،[20] وما تبع الحدثين العالميين من تداعيات على المنطقة العربية والدولة العثمانية، والاستيلاء على أملاك الدولة العثمانية، وتفتيتها، ثم انتهي الحدثان العالميان في سنة واحدة وهي سنة 1918. كانت إنجلترا في تلك الفترة سيدة الموقف، وبدأ الصراع بين الدول الاستعمارية على أملاك الدولة العثمانية؛ وبخاصة إنجلترا وفرنسا، وما تم وقتها من إعلان الانتداب على الدول العربية، وتفكيك بلاد الشام أو سوريا، في تلك الأثناء بدأ ظهور الكابتن كريزويل على الساحة.

ولد أرشيبالد كاميرون كريزويل (Keppel Archibald Cameron Creswell) في 13 سبتمبر سنة 1879 بإنجلترا، وتوفي بتاريخ 8 إبريل سنة 1974 عن عمر يناهز الخامسة والتسعين سنة بلندن. ويعد كريزويل أحد أهم المستشرقين في العالم، وعلامة بارزة من علماء الآثار الإسلامية، تخرج كريزويل من مدرسة

ويستمنستر (Westminster) ثم كلية الحرف الفنية بلندن. وبدأ حياته رساما، ثم اتجه لدراسة الفن الإسلامي، وزار "الشرق الأوسط"،[21] ثم التحق بالجيش الإنجليزي، وإن لم تذكر المراجع التي تكلمت عن حياته ذلك، وقد عرف باسم الكابتن[22] قبل أن يحصل على لقب بروفيسور أو أستاذ بالجامعة، ثم لقب "سير" (Sir).

لوحة 1: كريزويل في مكتبته النادرة التي تم إهداؤها فيما بعد إلى مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ولا تزال موجودة بها حتى اليوم – صورة من شبكة الإنترنت

ذكرت بعض المراجع التي تكلمت عن سيرته أنه عمل كمفتش للآثار في فلسطين وسوريا سنة 1905،[23] ولكنني لم أجد ما يثبت هذه المقولة، خاصة أن كريزويل في تلك الفترة كان يبلغ من العمر 26 عاما، وأغلب الظن أنه كان ما يزال في لندن، وإنما عمل مفتشا للآثار فيما بعد كما سيأتي. عاش كريزويل بالقاهرة منذ سنة 1917 حتى 1969، حيث سكن في حي عابدين بالقاهرة، ثم انتقل بعد سنة 1951 إلى قصر الدوبارة، ثم انتقل للسكن بشارع قصر النيل بالقاهرة. زار كريزويل أغلب العواصم والمدن الإسلامية لتصويرها ولدراسة آثارها،[24] مخلفا وراءه إرثا ضخما من الصور النادرة لتلك المدن والآثار، كما عين أستاذا للعمارة الإسلامية بمعهد الدراسات الإسلامية في جامعة القاهرة، ثم أستاذا بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.[25]

رحلات كريزويل لفلسطين وبيت المقدس

كان من المعتقد –من خلال سجلات الجامعة الأمريكية بالقاهرة التي بحثت فيها–أن كريزويل بدأ رحلته لبيت المقدس وفلسطين في سنة 1920 وأن أول زياراته للمشرق العربي كانت لسوريا سنة 1919، ولكن من بعد العثور على كتاب نادر عن القدس، تم نشره سنة 1918 بعنوان:

Jerusalem 1918- 1920 being the Records of The Pro- Jerusalem Council during the Period of the British Military administration (لوحتين رقم 2، 3)، تبين أن كريزويل نشر أول أبحاثه بذلك الكتاب عن القدس، ولكنه ذَيل البحث بكلمة "المفتش السابق"؛ مما يعني أنه كان موجودا بالقدس قبل سنة 1918. ومن المرجح أنه كان موجودا بالقدس وقت الحرب العالمية الأولى، أو بعد انتهائها بفترة قصيرة؛ في الفترة الممتدة ما بين سنة 1914 وسنة 1916، حيث استطاع رسم وتصوير قبة الصخرة والجامع الأقصى وآثار القدس، وبذلك تعتبر هذه أُولى رحلاته لبيت المقدس، وهي رحلة غامضة مجهولة غير مسجلة، ولولا بحثه في هذا الكتاب لما كنا سنعرف عنها شيئا. فقد تضمن الكتاب مقالا أو بحثا صغيرا لكريزويل بصفته مفتشا سابقا للآثار بالقدس[26] بعنوان:

Muslim Work touched by the Pro- Jerusalem Society.

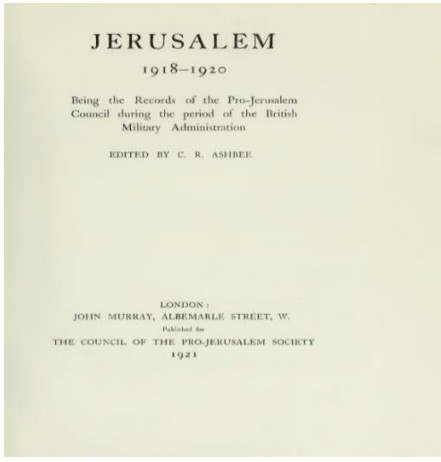
JERUSALEM

1918–1920

Being the Records of the Pro-Jerusalem Council during the period of the British Military Administration

EDITED BY C. R. ASHBEE

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET, W.
Published for
THE COUNCIL OF THE PRO-JERUSALEM SOCIETY
1921

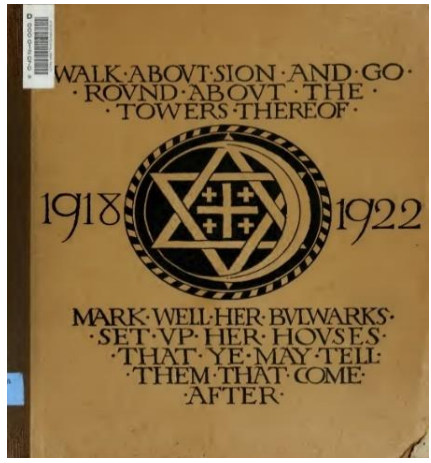

لوحتان 2، 3: صورة أول كتاب كتبه كريزويل عن القدس سنة 1918 وأصدر به بحثا عن قبة الصخرة والجامع الأقصى

بعد هذا الكتاب نشر كريزويل استكمالا لأعماله عن المسجد الأقصى (قبة الصخرة والجامع الأقصى) في الجزء الثاني بعنوان القدس 1920 إلى سنة 1922، طبعة لندن سنة 1924 بعنوان:

Jerusalem 1920–1922: Being the Records of the Pro–Jerusalem Council during the first Two Years of The Civil Administration

بعد ذلك سافر كريزويل للعمل بمصر سنة 1917، واستقر بها، ومنها كانت رحلته أو محطته التالية لسوريا سنة 1919، ثم فلسطين والقدس سنة 1920. وأتبع ذلك كتابه الثاني عن آثار القدس، والذي استكمل به الجزء الأول لآثار القدس، حيث نشر به استكمالا لأعماله عن قبة الصخرة والجامع الأقصى، وإن لم ينشر بالكتابين صورا لآثار بيت المقدس التي قام بتصويرها، وإنما اكتفي بنشر بعض الصور لقبة الصخرة والجامع الأقصى ونشر الرسومات الهندسية والمساقط المختلفة لكليهما.

منهجية تصوير بيت المقدس عند كريزويل

اعتمد كريزويل في منهجه للتصوير في بيت المقدس على نفسه، فصوره بالكاميرا الخاصة به على ألواح زجاجية، ثم طبعها بنفسه أيضا، فجاءت مقاسات الصور مختلفة، نظرا لأنه كان يقوم بطباعتها وتقطيعها بنفسه. فكانت المقاسات ما بين 17.2 × 12.2سم إلى 17.8 × 12.7سم، وبعد طباعتها كان يقوم بكتابة ملاحظاته عليها، في النسخة الأصلية الموجودة لدى الباحثة، أما نسخة الجامعة الأمريكية فأغلبها بدون تعليقات في الخلف.

جاءت الصور التي صورها كريزويل مختلفة عن التي قام المستشرقون بتصويرها للقدس ومبانيها منذ القرن التاسع عشر الميلادي،[27] فصور كريزويل اعتمدت أكثر على المباني والعمارة، وليس على العنصر البشري إلا نادرا، كما أنه لم ينشر صورا لمصلين، ولا لعادات، ولا لمظاهر احتفالات، وغيرها من نشاطات في المجتمع المقدسي. اعتمد في التصوير على المنهج الأثري العلمي كعالم آثار؛ فكان يبدأ بالأثر من الخارج من الواجهات والمداخل، ثم الأثر من الداخل وعناصره المعمارية، كإيوان القبلة والمحراب والمنبر والكتابات، وغيرها من العناصر المعمارية والفنية. اهتم كريزويل أيضا بتصوير المدينة من الخارج في مناظر عامة من أعلى نقطة في القدس، وهي مما يحسب له، لأنه استطاع أن يوضح لنا شكل المدينة القديمة وأسوارها وتحصيناتها.

ومن الغريب أن كريزويل –رغم قيامه بتصوير آثار بيت المقدس المختلفة–إلا أنه لم يقم بنشرها في كتبه، ولا مقالاته المتنوعة، ولم ينشر إلا أبحاثه عن قبة الصخرة والجامع الأقصى في المسجد الأقصى، واكتفي بتلك التي ترجع للعصر الإسلامي المبكر؛ أي منذ العصر الأموي ولم يتطرق للحديث عن العصر العثماني بها. وتنقسم الصور التي صورها كريزويل لبيت المقدس في العصر العثماني لدى الباحثة إلى قسمين رئيسين في مجموعتين؛ المجموعة الأولى وهي لتحصينات القدس من أسوار وأبراج وقلعة القدس، أما القسم الثاني فهو عبارة عن بعض الآثار المعمارية التي يرجع تاريخها للعصر العثماني، وستتناول الباحثة بعضها.

القسم الأول: تحصينات مدينة القدس وقلعة القدس

أولا: صور أسوار وتحصينات القدس

قام كريزويل بتصوير أسوار وأبوب مدينة بيت المقدس، أو ما يعرف حاليا باسم القدس القديمة؛ حيث استطاع أن يقدم لنا صورا متنوعة للسور، وامتداده، والحي القديم للقدس، مما يقدم لنا فكرة عن امتداد هذه الأسوار، وكيفية التفافها حول المدينة (شكل رقم 1). ويرجع تاريخ أسوار القدس إلى عهد السلطان سليمان القانوني بشكله وامتداده الحالي؛ حيث قام السلطان سليمان بتجديد عمارة الأسوار، وبناء الأجزاء العلوية منها، ونقش اسم السلطان سليمان عليها، وكانت هذه الأسوار ترجع إلى عصور زمنية مختلفة، وقد تم

هدمها في عهد الملك المعظم عيسى سنة 616هـ/1219م خوفا من استيلاء الفرنج أو الصليبيين على المدينة[28] فخربت أسوار المدينة وأبراجها، وعندما عقد الملك الكامل بن الملك العادل أخ صلاح الدين الأيوبي هدنة مع الملك فريدريك سنة 626هـ/1228م، كان من شروطها، ألا يعمر السور، فظل هكذا[29] حتى قام السلطان سليمان القانوني بعمارته، حيث قيس طوله فوجد أنه نحو أربعة كيلومترات. تم بدأ في تعميره وبنائه سنة 943هـ/ 1536م كما جاء في بلاطة موجودة فوق باب العمود، أو باب دمشق، نقش عليها تاريخ سنة 944هـ/ 1537م، وبلاطة أخرى فوق باب الأسباط كتب عليها تاريخ سنة 945هـ/1538م وبلاطة أخرى فوق باب الخليل. أما البلاطة الموجودة فوق باب النبي داود فقد نقش عليها تاريخ سنة 947هـ/ 1540م.[30]

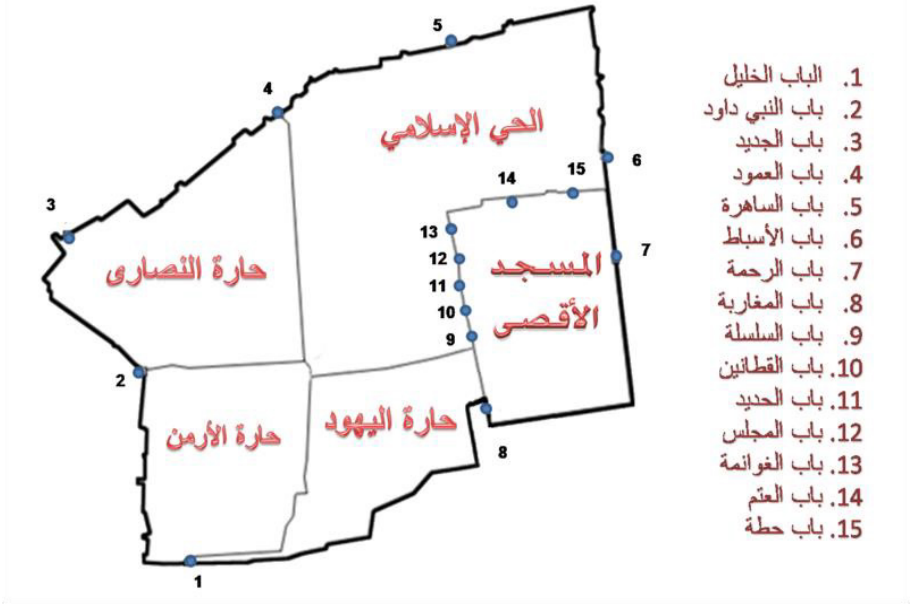

شكل 1: خريطة توضح أسوار وأبواب مدينة القدس عليها الأحياء وأسماء الأبواب ومواقعها – عن موقع ويكيبيديا

يبلغ عدد الصور التي قام كريزويل بتصويرها للأسوار، والمحفوظة لدى الباحثة نحو 15 صورة، أغلبها لا يوجد منه نسخ في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ويرجع تاريخها للفترة من 1919 إلى سنة 1924.[31] ويتضح من هذه الصور شكل الأسوار، والقدس القديمة، والبيوت التي كانت تقع خارج الأسوار والتي تمثل الامتداد الطبيعي للسكان على مر العصور، بعد بناء الأسوار وإعادة تعميرها في عصر السلطان سليمان القانوني،[32] مما يعطينا فكرة عن شكل المباني خارج الأسوار وامتدادها خارجه (لوحات 4، 5، 6).

لوحة 4: صورة توضح البلدة القديمة للقدس والمباني التي تقع داخل الأسوار وخارجها
(صورة من أرشيف الباحثة – تنشر لأول مرة)

توضح من هذه الصور، تلك الأسوار الخارجية التي كانت تحيط بالقدس، وأنها تمثل مساحة ممتدة مغلقة على هيئة مساحة غير منتظمة الأضلاع، تحيط بالبلدة إحاطة كاملة تتخللها عدة أبراج، تصل إلى أربعة وثلاثين برجا، وقد فتح بهذه الأسوار من الخارج نحو عشرة أبواب، بالإضافة إلى قلعة حصينة بنيت جنوب باب الخليل، وخمسة أبواب داخل الأسوار (شكل رقم 1).

ويتضح لنا من الصور خط سير الأسوار التي نرى بها اختلاف مداميك البناء، التي ترجع لفترات زمنية مختلفة، آخرها التي قام ببنائها السلطان سليمان القانوني. كما يتضح أيضا ارتفاع وانخفاض السور، حسب أودية وجبال القدس (لوحات 7، 8، 9، 10). كما يتضح أن أسوار القدس القديمة لم يتم تطويرها بتطور العصور، فظلت كما هي منذ العصر العثماني لم يطرأ عليها أي تغيير معماري، بدلا من تطويرها مع تطور مقتضيات الدفاع عن المدينة وتطور الأسلحة.

لوحة 5: أسوار القدس الشريف والبلدة القديمة ويرى بالصورة امتداد البلدة والمباني الموجودة، بما كما يرى بها الجامع الأقصى
(صورة من أرشيف الباحثة – تنشر لأول مرة)

لوحة 6: أسوار القدس التي عمرها السلطان سليمان القانوني ويرى بالصورة المباني الموجودة خارج الأسوار
(صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل – تنشر لأول مرة)

لوحة 7: أسوار القدس الشريف وامتدادها ويرى بالصورة المباني التي تقع بداخلها
(صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل – تنشر لأول مرة)

لوحة 8: أسوار القدس الشريف وامتدادها (صورة من أرشيف الباحثة– تنشر لأول مرة)

لوحة 9: أسوار القدس التي بناها وجددها السلطان سليمان القانوني لحماية القدس
(صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل – تنشر لأول مرة)

لوحة 10: الأسوار التي كانت تحيط بالقدس الشريف، وأهم ما يميز هذه الصورة هي المدافن أو المقابر التي كانت خارج البلدة
(صورة من أرشيف الباحثة – تنشر لأول مرة)

ثانيا: الأبواب الموجودة بالأسوار

تتخلل الأسوار التي تحيط ببيت المقدس عدة أبواب، كانت فيما مضى تغلق كلها عند الغروب، وكانت لا تفتح بعدها، فإذا كان هناك إنسان خارج السور وأراد أن يرجع إلي المدينة بعد الغروب، لا يفتح له الباب فيضطر لقضاء ليلته خارج السور ، وكان يرابط وراء الأبواب حرس من الجنود النظاميين للحراسة يتناوبون عليه كل ساعة، وفي سنة 1858 فتح في كل باب خوخة أو ثغرة كبيرة لدخول المضطرين للمدينة، وبعد

سنة 1881 أخذت سلطات بيت المقدس تتساهل في إغلاق الأبواب بعد الغروب، وإن ظلت تغلق في منتصف نهار الجمعة لمدة ساعتين؛ وذلك ليتمكن الحراس من تأدية صلاة الجمعة، وظلت هكذا حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.[33] قام كريزويل بتصوير معظم هذه الأبواب، وما يعنينا في هذا البحث هي الأبواب التي بنيت في العصر العثماني ومنها على سبيل المثال:

باب العمود

لوحة 11: باب دمشق أو باب العمود سنة 1919م (تنشر لأول مرة)

التسمية: كانت تسمية باب العامود في صور كريزويل باب دمشق Damascus Gate، حيث يعرف هذا الباب بعدة أسماء منها باب العمود وباب دمشق.

المنشئ: بناه السلطان سليمان القانوني، وقد بني مكان باب آخر يرجع تاريخه للصليبيين وقت احتلالهم لبيت المقدس، ويقع في منتصف السور الشمالي من أسوار القدس.

وصف الصورة: صورة لمدخل الباب وعقده (قوس الباب) المدبب والشرفات التي تعلو الباب من الأعلى كما يظهر بالصورة حامية الباب سنة 1919 (لوحة رقم 11)

باب الساهرة

التسمية: استخدم كريزويل في تعريف الباب اسم "باب هيردوس" Heridos Gate وهو أحد أسماء الباب، ومنها أيضا اسم باب هيرودوتس أو هيرودوس.[34]

المنشئ: جدد هذا الباب أو أعاد بناءه السلطان سليمان القانوني سنة 944 هـ/37–1538م، ويقع هذا الباب على بعد نصف كيلومتر شرق باب العمود أو باب دمشق.

الوصف: يظهر الباب في الصور؛ وهو عبارة عن بناء مربع يتوسطه مدخل معقود بعقد مدبب (لوحات رقم 12، 13).

لوحة 12: باب الساهرة أو باب هيردوس. لوحة 13: المدخل الجانبي لباب الساهرة أو باب هيرودوس ويظهر بالصورة أيضا باقي امتداد أسوار القدس والأبراج التي كانت تتخلل الأسوار. (صور من أرشيف الباحثة –تنشر لأول مرة)

باب النبي داود

التسمية: استخدم كريزويل اسم باب النبي داود في تعريف هذا الباب Bab Nebi Dawud والذي يعرف أيضا باسم باب صهيون، وباب اليهود[35] (لوحة رقم 14).

المنشئ: أنشأ هذا الباب السلطان سليمان القانوني سنة 947 هـ كما هو موجود على أحد النصوص التأسيسية بالباب، يقع الباب في القسم الغربي من الجدار الجنوبي لأسوار القدس. وصف الصورة: كتب كريزويل على الصورة من الخلف أنها تمثل الجزء الداخلي للباب inner side، ويتكون هذا الباب من مدخل كبير، وعقد حجري مدبب يعلوه على بعد قليل منه برج حجري صغير محمول على كابولين حجريين، ويوجد نص تأسيسي للباب بين المدخل والعقد.

لوحة 14: باب النبي داود من الداخل (تصوير كريزويل – من أرشيف الباحثة – تنشر لأول مرة)

باب الخليل أو باب يافا

التسمية: باب الخليل، وقد استخدم كريزويل اسم باب يافا في تعريف الباب بصوره Jaffa Gate كما ذكر في المصادر باسم باب محراب داود[36] (لوحتين رقم 15، 16).

المنشئ: جدد هذا الباب السلطان سليمان القانوني سنة 945 هـ/ 1358–1359م.

وصف الصورتين: تمثل الصورتان السور الذي يحيط بباب الخليل، أو باب يافا؛ حيث يظهر به عقد مدبب يحيط بدخلة، يتوسطها من أعلى نص تأسيسي باللغة العربية يحمل اسم السلطان سليمان وألقابه، وأنه بنى هذا السور؛ حيث جاء في النص التأسيسي كما يظهر بالصورة (لوحة رقم 19):

سطر 1: بسم الله الرحمن الرحيم

سطر 2: أمر بإنشاء هذا السور المبارك

سطر 3: مولانا السلطان الأعظم ملك الروم والعرب والعجم

سطر 4: سلطان سليمان ابن سليم خان خلد الله ملكه في تاريخ سنة 945هـ.

لوحة 15: سور باب يافا أو باب الخليل، ويظهر بالصورة النص التأسيسي. لوحة 16: باب يافا أو باب الخليل من الداخل

أما الصورة الثانية فتمثل باب يافا من الداخل، وقد كتب كريزويل على ظهر الصورة Jaffa Gate– inner side ويظهر بالصورة عقد المدخل المدبب والجفت اللاعب الذي يحيط به، ويتوسط المدخل دخلة فتح بها فتحة باب بعقد موتور يعلوها لوحة مستطيلة بها نص تأسيسي بإنشاء الباب، واسم السلطان سليمان القانوني عليها وتاريخ تجديد الباب (لوحة رقم 20).

ثالثا: قلعة القدس

تقع قلعة القدس جنوب باب الخليل أو باب يافا، وهي قلعة قديمة ترجع لعصور مختلفة، بنيت هذه القلعة في العصر الإسلامي، وغالبا في العصور الأموي، وهي حصن عظيم البناء، وبه برج للمراقبة ومسجد للصلاة، وأماكن للسكنى، وقد جددت هذه القلعة أكثر من مرة، حيث جددها الصليبيون أيام احتلالهم للقدس، كما جددت في العصر الأيوبي؛ حيث بني الملك المعظم عيسى بها برجا حربيا في وسط القلعة،[37] وقد نالت القلعة في العصر المملوكي اهتماما كبيرا، فأصبح لها نائب مستقل، وكانت تدق فيها الطبلخانة، وقد رُمم بناؤها ومدخلها، وبني بها مسجد في عهد الناصر محمد بن قلاوون سنة 710هـ/ 1310م. في العصر العثماني كان السلطان سليمان القانوني أول من اهتم بترميم القلعة؛ حيث قام بترميمها في إطار خطة الدفاع عن القدس، وقد ذكر الرحالة "أوليا جلبي" الذي زار البلاد الخاضعة للحكم العثماني كمصر وبلاد الشام وغيرها، وكتب عنها في كتابه "سياحة نامة" فذكر أن السلطان سليمان الأول قام بعمل تجديدات بقلعة القدس[38] تشمل بناء ممر شرقي بالقلعة وعمل بوابة جديدة لها بالناحية الشرقية لتوفير الأمن لأهل القدس، كما أضاف لها مسجدا جديدا بالزاوية الجنوبية الغربية منها، بالإضافة للمسجد المملوكي الموجود بها، والذي بناه الناصر محمد بن قلاوون، وذلك سنة 930هـ/ 1524م.

هذا بالإضافة إلى تدعيم الخندق الذي كان يحيط بالقلعة، وأثبت هذه التجديدات في عدة أماكن بالقلعة. كما اشتملت تجديدات السلطان سليمان القانوني بقلعة القدس إضافة عمائر جديدة بها، كمساكن للجند، ومئذنة مستديرة الشكل بالمسجد بالجهة الجنوبية الغربية تتكون من ثلاثة طوابق حجرية. أما قاعدة المئذنة فهي مربعة الشكل، وقد جددت للمرة الثانية في عهد السلطان محمد الرابع سنة 1065 هـ/1655م، ولقد أثبت السلطان سليمان هذه التجديدات على نصوص تأسيسية داخل القلعة، أول هذه النصوص يوجد بمدخلها الأمامي في الناحية الشرقية، باللغة العربية، حيث يوجد فيه:[39]

أمر بترميم هذه الحصنة الشريفة السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك رقاب الأمم، مستخدم أرباب السيف والقلم، خادم الحرمين والبقعة الأقدسية، قدس الله أرواح آبائه المقدسة، منح الأمن والإيمان والأماني السلطان ابن عثمان سليمان الثاني، مد الله بقاءه ما دامت القبة على الصخرة في سنة حصل خير 938هـ/1531م.

أما النص الثاني فموجود على البرج القائم على يمين الداخل إلى المدينة، بين باب الخليل والسور:[40]

أمر بإنشاء هذا الربض من حمى ديرة الإسلام بشوكته وطوله، وبحمى جائرة الأصنام بقوته وحوله، من خصه الله برقاب الملوك في الآفاق، وتلك سريرة الخلافة بالاستحقاق السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان سليمان.

وفي عهد السلطان محمود خان الأول، تم تجديد حائط خندق القلعة سنة 1731م، كما تم تجديد مسجد القلعة، وأثبت ذلك على جدار البرج الموجود على يسار الداخل إلى القلعة من بابها الشرقي، حيث كتب في النص التأسيسي وبالخط العثماني:

جدد بناء حائط هذا الخندق بعد انهدامه في خلافة سلطان الإسلام والمسلمين، قامع الكفرة والمشركين السلطان محمود بن المرحوم السلطان مصطفى خان من آل عثمان، أيد الله ملكه بعرض وإعلام من حضرة الدستور المكرم عبد الله باشا محافظ الشام، وأمير الحاج الشريف حين زار القدس، وجاء الفرمان خطابا لمتسلمه الحاج مصطفي أغا زاده فباشره بنفسه دائم عمارتها جزاه الله خيرا في شهور سنة أربعة وأربعين ومائة وألف (1731م).

وقد قام كريزيول بتصوير قلعة القدس في ألبوم يضم أكثر من 25 صورة، من أندر الصور للقلعة ومبانيها، وهي صور يرجع تاريخها لسنة 1920م، توضح لنا مباني القلعة قبل الاحتلال الصهيوني لها، ولأنه من الصعب نشر كل هذه المجموعة من الصور في هذا البحث؛ فقد اخترت نشر بعضها لتوضيح الأسوار والمداخل والمباني.

الصورة الأولى: توضح لنا هذه الصورة شكل قلعة القدس وأسوارها الخارجية من خارج مدينة القدس حيث يظهر بالصورة المئذنة التي جددها السلطان محمد الرابع بجامع القلعة، وهي ترتفع عن أسوار القلعة بالإضافة إلى الأبراج التي بنيت في عصور إسلامية مختلفة.

لوحة 17: قلعة القدس من الخارج (صورة من أرشيف الباحثة– تنشر لأول مرة)

كما تظهر بالصورة أيضا المباني التي تقع خارج القلعة، والتي تمثل الامتداد العمراني خارج بلدة القدس القديمة (لوحة رقم 17).

الصورة الثانية: توضح هذه الصورة الناحية الشرقية للقلعة، والتي هي من أهم الصور وأندرها؛ حيث توضح لنا تخطيط الجزء الشمالي منها، وأنه ينقسم إلى قسمين. القسم الأول وهو كتلة المدخل التي بناها السلطان سليمان القانوني، وهي كتلة بارزة منفصلة عن القلعة. ويتوج مدخل الباب لوحة تذكارية تحتوي على النص التأسيسي لبناء الباب كما سيأتي ذكره لاحقا، كما يوضح أن كتلة المدخل الشرقي السابق تؤدي إلى ممر مغطى بسقف جمالوني الشكل، وهو يمثل قنطرة تعلو خندق القلعة الذي جدده السلطان محمود خان الأول كما تقدم ذكره، ويكتنف هذا المدخل برجين ضخمين.

لوحة 18: توضح هذه الصورة القسم الشمالي من القلعة والأبواب التي بناها السلطان سليمان القانوني
(صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل – تنشر لأول مرة)

الصورة الثالثة: صورة مدخل قلعة القدس الثاني بعد المدخل الذي بناه السلطان سليمان، ويعتبر المدخل الداخلي الثاني بعد المدخل الخارجي. ويرى بالصورة التخطيط المعماري للمدخل، وهو عبارة عن كتلة المدخل، وقد فتح بها في المنتصف فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري، تتوسطه دخلة أخرى عميقة، معقودة بعقد مدبب، ويغلق عليها مصراعي باب من الخشب المصفح، ويعلو كتلة المدخل حجرة كانت مخصصة لحرس الباب، ويكتنف كتلة المدخل السابق برجان ضخمان بأحجار مسننة بارزة، ويتضح من الصورة التباين في أحجار البرجين والمدخل، مما يدل على رجوعه لعصور زمنية مختلفة (لوحة رقم 19).

لوحة 19: أحد مداخل قلعة القدس من الداخل (صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل)

الصورة الرابعة: هي لأحد مداخل القلعة التي بناها السلطان سليمان القانوني، وهو المدخل الأمامي الموجود بالناحية الشرقية، وأهم ما يظهر بهذه الصورة هو النص التأسيسي للقلعة، الذي يوجد به اسم السلطان

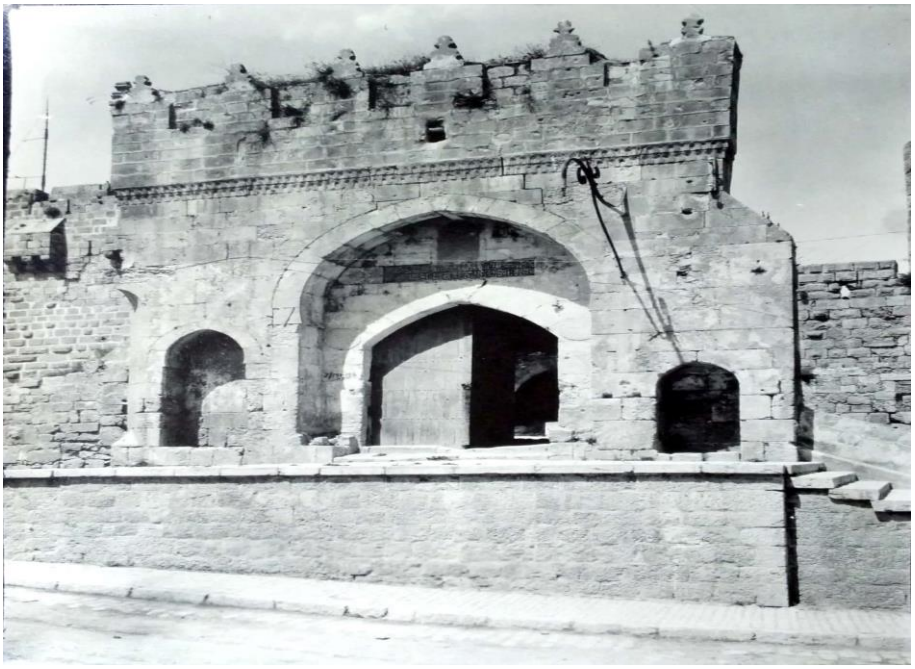

لوحة 20: توضح المدخل الذي قام ببنائه السلطان سليمان القانوني لقلعة القدس (صورة من أرشيف الباحثة)

وألقابه وتاريخ الإنشاء. كما يظهر بالصورة أن هذا المدخل مرتفع عن سطح الأرض، ويتوصل إليه عن طريق عدة سلالم حجرية، ويعلوه النص التأسيسي الذي يشير إلى اسم السلطان وتاريخ الإنشاء (لوحة رقم 20)، وقد أمكن عمل تكبير للصورة لتوضيح وجود النص التأسيسي الخاص بالمدخل وعليه ألقاب السلطان (لوحة رقم 21).

لوحة 21: –تفصيل بتكبير صورة كريزويل للمدخل الذي بناه السلطان سليمان القانوني بقلعة القدس ويظهر النص الخاص بالسلطان باللغة العربية (صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل)

الصورة الخامسة: توضح هذه الصورة القلعة من الداخل وساحتها الداخلية، حيث تظهر بها ثكنات أو مساكن الجند التي بناها السلطان سليمان القانوني بالقلعة، ونفهم من الكتابة الموجودة خلف الصورة بخط يد كريزويل، أنها تقع بالناحية الجنوبية الشرقية من القلعة، ويظهر بالصورة التخطيط المعماري لهذه الثكنات، واختلاف مواد البناء بها عن الأبراج التي تقع خلفها، وأن هذه الثكنات أو مساكن الجند كانت مكونة من طابق واحد، وكانت تمتد بطول فناء أو ساحة القلعة (لوحة رقم 22).

الصورة السادسة: كتب كريزويل على ظهر هذه الصورة أنها تمثل الجزء الداخلي للقلعة من ناحية برج يافا، حيث يظهر بالصورة بعض من المباني التي بنيت في أزمنة؛ مختلفة بداية من العصر الأيوبي وحتي العصر العثماني، وهي عبارة عن مجموعة من الأبراج والتحصينات الدفاعية، بالإضافة إلي بعض الثكنات، التي يتضح من الصورة أنها كانت تتكون من طابقين، ويظهر بالصورة أيضا أن هذا الجزء من القلعة كان مكونا من أكثر من طابق، يتوصل إلي كل طابق عن طريق مجموعة من السلالم الحجرية، كما يظهر بالصورة أيضا بعض الدمار الذي حدث لها (لوحة رقم 23).

لوحة 22: توضح ساحة قلعة القدس الداخلية ويرى باللوحة مباني الثكنات أو مساكن حامية القلعة التي بناها السلطان سليمان القانوني (صورة من أرشيف الباحثة –تنشر لأول مرة)

لوحة 23: التحصينات الدفاعية لقلعة القدس من ناحية برج يافا (صورة من أرشيف الباحثة –تنشر لأول مرة)

الصورة السابعة: توضح لنا هذه الصورة الهامة التي قام كريزويل بتصويرها، وفيها جامع القلعة الذي بناه السلطان سليمان القانوني، والمئذنة الخاصة بالجامع، والتي جددها السلطان محمد الرابع فيما بعد، حيث يظهر لنا بوضوح شكل المئذنة وقاعدتها المربعة، ثم بدن المئذنة الأسطواني، وجوسق المئذنة الذي يختلف عن المآذن العثمانية المعروفة برشاقتها، يظهر بالصورة أيضا مجموعة من المباني المختلفة التخطيط والشكل وطريقة البناء، وربما سبب ذلك هو تعاقب الأزمنة التاريخية على القلعة من ناحية، ومن ناحية أخرى كثرة الترميمات والتجديدات بالقلعة (لوحة رقم 24).

لوحة 24: صورة توضح مسجد قلعة القدس الذي بناه السلطان سليمان القانوني والمئذنة التي بناها وجددها فيما بعد السلطان محمد الرابع (صورة من أرشيف الباحثة – تصوير كريزويل)

القسم الثاني: بعض صور مباني يرجع تاريخها للعصر العثماني بالقدس

يمثل هذا القسم بعض الصور التي أخذت لبعض مباني القدس المعمارية، والتي بنيت في العصر العثماني، وقد اخترت منها أسبلة الماء التي بناها السلطان سليمان القانوني، والتي استطاع كريزويل تصويرها وتصوير نقوشها التاريخية، ومن خلال الصور نلاحظ ما يلي:

1- أنه أطلق على السبيل اسم "قسطل" ولم يطلق عليه اسم "سبيل" في ملاحظاته المدونة خلف الصور.

2- استطاع كريزويل تحديد تواريخ الأسبلة بدقة من خلال النقوش التاريخية التي كانت واضحة جدا في ذلك الوقت، والتي من خلالها يمكن تحديد تاريخ كل سبيل بدقة، ما عدا سبيل "ستنا مريم" الذي لم يكن يحمل نقشا تاريخيا وقت التصوير، حيث دون تاريخ كل سبيل بالشهر الهجري والسنة والشهر الميلادي والسنة خلف كل صورة.

3- حدد كريزويل تاريخ الصور من خلال ملاحظاته، حيث بدأ التصوير في إبريل واستكمله في مايو 1920.

4- أن الأسبلة كلها كانت نفس الطراز، وإن اختلفت التفاصيل المعمارية والزخرفية فيها.

صور الأسبلة التي قام كريزويل بتصويرها

1- قسطل أو سبيل السلطان سليمان ببركة السلطان، وهو يقع أمام بركة السلطان من جانبها الجنوبي خارج سور القدس، وقد حدد كريزويل تاريخ السبيل من خلال ملاحظة على خلفية الصورة أنه بني في المحرم من سنة 943 هجريا الموافق يناير سنة 1536 ميلاديا (لوحة رقم 25).

2- قسطل أو سبيل الواد، ويقع في طريق الواد قرب سوق القطانين، أحد الطرق الرئيسة الموصلة إلى ساحة الحرم، وهذا السبيل ذكره كريزويل تحت مسمى سبيل السلطان سليمان قرب سوق القطن، وأهم ما يميز هذه الصورة التفاصيل المعمارية الجميلة الغنية بالزخارف الدقيقة العثمانية،

لوحة 25: قسطل بركة السلطان أو سبيل السلطان سليمان بالقدس
(صورة من أرشيف الباحثة – تنشر لأول مرة)

بالإضافة إلى رقم تسجيله كأثر حيث كتب على السبيل نمرة 8، وقد حدد كريزويل تاريخ السبيل بأنه بني في رجب سنة 943هـ/ ديسمبر 1536 م (لوحة 26).

3- سبيل باب السلسلة، ويقع عند باب السلسلة وكان هذا السبيل قد أنشأه السلطان الملك الأشرف قايتباي المملوكي، ويبدو أنه قد تهدم فقام السلطان سليمان ببناء وتعمير سبيل آخر مكانه، وقد حدد كريزويل تاريخ هذا السبيل بدقة، أنه بني في 22 رجب سنة 943 هـ/ 4 يونيو 1536م، ويتميز هذا السبيل بدقة زخارفه النباتية والهندسية، والنص التأسيسي الرائع الذي يتوسطه باللغة العربية ويحتوي على اسم السلطان سليمان وألقابه وتاريخ الإنشاء (لوحة 27).

4- سبيل أو قسطل حدده كريزويل باسم سبيل في شمالي منطقة المسجد الأقصى، وقد حدد كريزويل تاريخ بناء السبيل بالأول من شعبان سنة 943هـ/ منتصف يونيو 1537م وهو وصف دقيق لتاريخ بناء السبيل (لوحة رقم 28).

لوحة 26: سبيل سوق القطن المعروف باسم سبيل الواد أو القطانين الذي بناه السلطان سليمان (أرشيف الباحثة– تنشر لأول مرة)

لوحة 27: قسطل أو سبيل باب السلسلة الذي بناه السلطان سليمان بالقدس (صورة من أرشيف الباحثة)

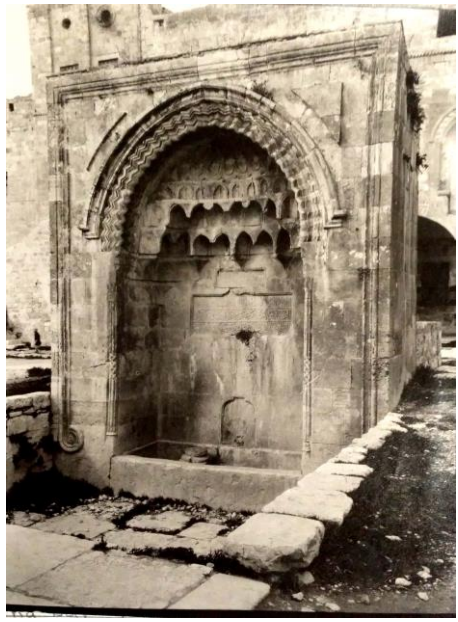

لوحة 28: قسطل أو سبيل السلطان سليمان في المسجد الأقصى (صورة من أرشيف الباحثة– تنشر لأول مرة)

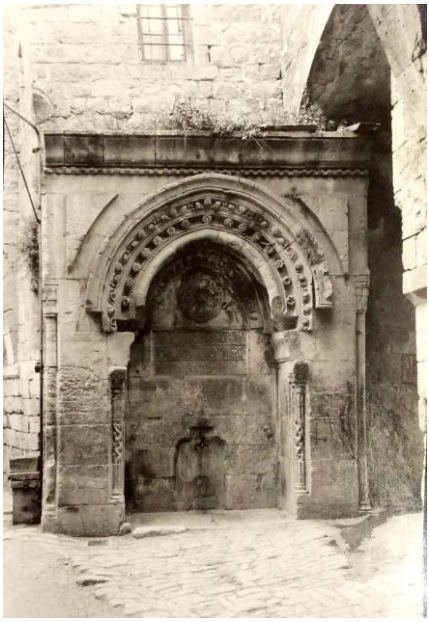

لوحة 29: سبيل السلطان سليمان بطريق السراي (صورة من أرشيف الباحثة– تنشر لأول مرة)

5- سبيل أو قسطل حدده كريزويل باسم سبيل السلطان سليمان بطريق السراي، لم يحدد كريزويل في هذه الصورة أي سراي يقصد، ولكن هذا السبيل جاء مختلفا في زخرفته عن باقي الأسبلة الموجودة، والتي قام بتصويرها؛ حيث احتوت عقود السبيل علي وريدة بارزة في العقد الثاني، ومكررة في شريط العقد، في حين احتوى العقد الذي يعلوها علي شريط زخرفي من ورقة نباتية، يتخللها شكل نبات الصنوبر، في حين يتوسط كتلة العقد نص لوحة تأسيسي، بداخلها اسم السلطان سليمان وألقابه وتاريخ الإنشاء الذي حدده كريزويل في ملاحظاته خلف الصورة، بأنه في الثاني من شهر رمضان سنة 943 هجريا الموافق 12 فبراير سنة 1537 ميلاديا ، ويعلو النص التأسيسي السابق جامة دائرية على هيئة وريدة كبيرة (لوحة رقم 29).

6- سبيل أو قسطل ستنا مريم وهو أحد الأسبلة التي بناها السلطان سليمان القانوني، ويعرف أيضا باسم سبيل ستنا مريم أو سبيل الأسباط، نظرا لقربه من باب الأسباط، اتجاه مدخل المدينة. وقد بناه السلطان سليمان سنة 943 هجريا 1536 ميلاديا ولم يحدد كريزويل التاريخ تحديدا لهذا السبيل، لأنه كما يتضح من الصورة أن النص التأسيسي به لم يكن موجودا زمن التصوير، وتعلو النص التأسيسي لوحة صغيرة كتب داخلها سطرين على النحو التالي:

"سلام على روح النبي المطهر" "أصابعه أجرت مياها ككوثر "

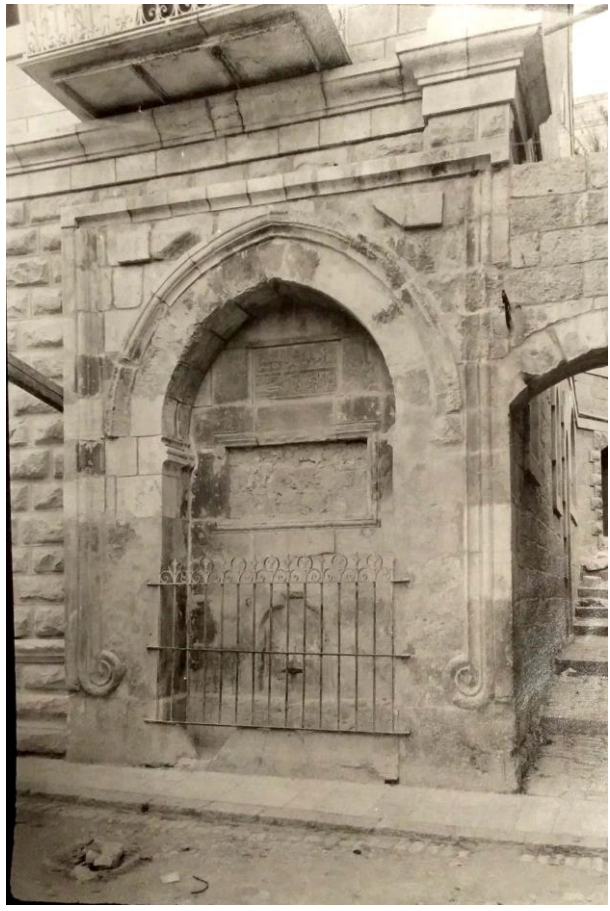

لوحة 30: سبيل أو قسطل ستنا مريم أو سبيل الأسباط (من أرشيف الباحثة– تنشر لأول مرة)

الخاتمة والنتائج

تناول هذا البحث بعضا من الصور التي قام بتصويرها عالم الآثار الإنجليزي كريزويل، والتي قام بتصويرها في الفترة الممتدة من سنة 1919 إلى سنة 1920، وقد جاءت إشكالية البحث في أن كل الأبحاث والمراجع التي تناولت سيرة كريزويل لم تذكر متي بدأ توثيقه لآثار بيت المقدس تحديدا، حيث إنه كان من المعروف أن كريزويل بدأ في زيارة المشرق العربي سنة 1919 بزيارته لسوريا، ولكن الباحثة استطاعت توثيق أن كريزويل بدأ رحلته للمشرق العربي قبل ذلك وقت الحرب العالمية الأولى، وبدأها بالقدس وفلسطين تحديدا في الفترة من سنة 1914 إلى سنة 1918، وليس سنة 1920 وكان يعمل بها كمفتش للآثار، وكان أيضا ضابطا بالجيش الإنجليزي مما أتاح له فرصة توثيق آثار القدس وفلسطين المختلفة قبل أن يستقر بمصر سنة 1917، أما أهم نتائج البحث فجاءت على النحو التالي.

أن أول ما قام به كريزويل من أعمال في القدس كان توثيق قبة الصخرة والمسجد الأقصى من خلال بحث قدمه في أول كتاب له عنهما سنة 1918، تلت هذا البحث مؤلفاته عن قبة الصخرة وبيت المقدس، لكنه لم يوثق باقي الآثار التي قام بتصويرها ولم ينشرها في كتبه.

توقف كريزويل في مؤلفاته عن بيت المقدس عند حدود العصر الإسلامي المبكر بداية من العصر الأموي، ولم يقم بأية أبحاث عن العصر العثماني، رغم أنه قام بتصوير آثار العصر العثماني وكتب ملاحظاته على خلفية الصور.

اختلفت الصور الموجودة لدى الباحثة عن الصور الموجودة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة (والمحفوظة في ألبومات وغير مسموح بالاطلاع عليها إلا بإذن مسبق) بأن النسخة الموجودة لدى الباحثة هي أول نسخة قام كريزويل بطباعتها، وغالبا طبعها في مصر أثناء فترة عمله بها، ثم قام بإعادة طبع للصور مرة أخرى، وباع منها نسخة للجامعة الأمريكية، وأن بعضها لم يقم كريزويل بإعادة طبعه، وهي غير موجودة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، كما تميزت تلك النسخة الموجودة لدى الباحثة لقيامه بتدوين ملاحظاته عليها، مما أتاح للبحث فرصة كبيرة لمعرفة الصور وتوثيق بعض آثار القدس.

وعلى الرغم من وفرة المراجع والمصادر التاريخية التي تناولت بيت المقدس بصفة خاصة، وتاريخ بيت المقدس والمنطقة العربية في أوائل الربع الأول من القرن العشرين بصفة عامة، والأحداث التاريخية التي حدثت به، بداية من خلع السلطان عبد الحميد الثاني وحتى قيام الحرب العالمية الأولى، وما يطلق عليه اسم الثورة العربية الكبرى، إلا أن الجانب التوثيقي للآثار المعمارية التي حرص الاحتلال على تدميرها وطمس معالمها لا يزال يحتاج إلى المزيد من التوثيق والدراسة.

انقسم البحث في تناوله لصور كريزويل إلى قسمين، القسم الأول وهو نشر صور الأسوار والتحصينات وقلعة القدس، أما القسم الثاني فتناول بعض صور مبان يرجع تاريخها للعصر العثماني؛ حيث اختارت الباحثة صور الأسبلة التي قام ببنائها السلطان سليمان القانوني، حيث استطاعت الباحثة من خلال ملاحظات كريزويل الموجودة على خلفية الصور تحديد تواريخ بناء كل سبيل بدقة، الهجري والميلادي.

وختاما نشر البحث بعضا من الصور التي قام كريزويل بتصويرها، ولضيق مساحة البحث لم أستطع نشر المزيد من الصور، وكنت أتمنى نشر المزيد منها، وتوثيقها أكثر وخاصة من الناحية المعمارية والأثرية وليس التاريخية فقط.

الهوامش

[1] ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع **الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الرابع، بدون تاريخ طبع، بدون تاريخ طبع، ص465.

[2] بيات، فاضل، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية – النصف الأول من القرن 15هـ/16م**، إعداد وترجمة فاضل بيات، تقديم خالد أرن، إستانبول، 2010، ج.1، ص55.

[3] هو السلطان سليم الأول الملقب بياوز ابن السلطان بايزيد خان الثاني وفي عهده تم القضاء على الدولة الصفوية والدولة المملوكية وبسط سيطرة الدولة العثمانية على مصر والشام. للمزيد من المعلومات انظر، فريد، محمد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1981، ص 179 – 188، 197.

[4] بعد عودة السلطان سليم من مصر بعد فتحها تلقى ولاء العشائر العربية في بلاد الشام، ومنها القدس وتسلم رسائل من زعمائها، أعلنوا فيها طاعتهم وولاءهم للدولة العثمانية، ويبدو أن السلطان سليم لم يقم بأي إجراء في القدس عند زيارته لها، ولم يتخذ أي إجراء إداري في بلاد الشام، وترك تحت إمرتهم بعض الجنود لضبط الأمن والنظام لحماية ظهر قواته بمصر. للمزيد من المعلومات انظر، فاضل بيات، **سياسة الدولة العثمانية تجاه القدس نظرة شمولية في ضوء وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التاريخية حصرا 1516 – 1917**، بحث مقدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي إرسكا، ص1.

[5] السلطان سليمان خان الأول القانوني، وقد وصلت في عهده الدولة العثمانية أوج المجد والشهرة، بفتوحاته وأعماله. في عهده فتحت بلجراد ورودس والمجر وغيرها من البلاد، وله أعمال كثيرة في فلسطين والشام – لمزيد من المعلومات أنظر: فريد، **تاريخ الدولة العلية**، ص198 وما بعدها.

[6] بعد وفاة الملك العادل قام الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر، والذي كان حكمه من حدود بلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وغيرها، بتخريب أسوار القدس خوفا من الإفرنج الذين هاجموا دمياط بمصر سنة 616 هـ، فخاف الملك المعظم عيسى أن يقصد الصليبيون القدس، فقام بتخريب السور؛ مجير الدين الحنبلي: **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، الجزء الأول، مخطوط محفوظ بمكتبة الأزهر الشريف، بدون تاريخ، ص 355.

[7] أوزدمير، حسين، **فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني**، دار النيل، القاهرة، ترجمة عبد الله القط، 2013، ص25.

[8] العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس** – مطبعة المعارف القدس – الطبعة الخامسة 1999 م – ص 277.

[9] أزودمير، **فلسطين في العهد العثماني**، ص 25.

[10] أزودمير، **فلسطين في العهد العثماني**.

[11] العارف، **المفصل**، ص296، 298.

[12] السلطان عبد الحميد، **مذكراتي السياسية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، سوريا، الطبعة الأولى،1977، ص112.

[13] محفوظ أحمد، أمل، **العلاقات المصرية التركية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وانعكاسها على العمارة والفنون في مصر**، المؤتمر الدولي لجيواستراتجية السلطان عبد الحميد الثاني وميراثه، أنقرة 2018، تحت الطبع، ص5.

[14] المسألة الشرقية هو اصطلاح أطلق على مسألة النزاع بين الدول الأوربية والدولة العلية العثمانية، بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها، وأعد بعض الكتاب تلك المسألة الشرقية صراعا بين المسيحية والإسلام، لارتباطها بالصليبيين. في حين عدها البعض إلى جانب ذلك صورة من صور النزاع طمعا في أملاك الدولة العثمانية وأملاكها. لمزيد من المعلومات انظر: كامل، مصطفى، **المسألة الشرقية**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص9.

[15] تصريح أو وعد بلفور اسم أطلق على رسالة وجهها اللورد آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا في يوم 2 نوفمبر سنة 1917م إلى البارون ليونيل فالتر روتشيلد، يعلن فيها أن الحكومة البريطانية تتعهد بأن تساند اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين –صك المؤامرة– وعد بلفور – جميل عطية إبراهيم، صلاح عيسى –نسخة إلكترونية على شبكة الإنترنت – ص 5: 6.

[16] اتفاقية سايكس بيكو هي معاهدة سرية بين فرنسا وإنجلترا بمصادقة من روسيا القيصرية وإيطاليا، لتقسيم منطقة الهلال الخصيب بين فرنسا وإنجلترا، ولتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا، وتقسيم أملاك الدولة العثمانية التي كانت مسيطرة في تلك الفترة على تلك المنطقة في الحرب العالمية الأولى، اعتمدت الاتفاقية على السرية التامة حيث جرت المفاوضات بين أطرافها في الفترة بين 23 نوفمبر سنة 1915م إلى 3 يناير سنة 1916م ، حيث وقع الدبلوماسي الفرنسي فرنسوا جورج بيكر جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس بيكو مذكرات تفاهم بين وزارات خارجية كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا القيصرية، حيث وقعت حكوماتهم على الاتفاقية في 15 مايو سنة 1916م ، بتقسيم ولايات الدولة العثمانية خارج شبه الجزيرة العربية إلى مناطق تسيطر عليها بريطانيا وفرنسا، أو تحت نفوذهما.

[17] خلع الخديوي عباس حلمي الثاني في 19 ديسمبر سنة 1919.

[18] عين السلطان حسين كامل سلطانا على مصر في 19 ديسمبر سنة 1914م بعد خلع الخديوي عباس حلمي الثاني ابن أخيه الخديوي محمد توفيق وظل على العرش حتى وفاته في 9 سبتمبر سنة 1917م.

[19] الحرب العالمية الأولى: هي حرب اصطلح على تسميتها بهذا الاسم، لأنها جمعت دولا كثيرة دخلت في أتون الحرب ، فكانت حربا عالمية نشبت بدايةً في أوروبا في 28 يوليو سنة 1914م وانتهت في 11 نوفمبر سنة 1918م ، ووصفت وقتها بالحرب العظمى – لمزيد من المعلومات عن الحرب العالمية الأولى انظر، هايمان، نيل م، **سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ – الحرب العالمية الأولى**، ترجمة حسين عويضة، مشروع كلمة، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، 2012.

[20] الثورة العربية الكبرى هي ثورة مسلحة مدعومة من إنجلترا لطرد الدولة العثمانية من أراضي الحجاز، بدأها الشريف حسين في 10 يونيو سنة 1916 م ثم وصلت إلى سوريا العثمانية والعراق، وبغض النظر عن الأسباب والنتائج لهذه الحرب، إلى أنها أثرت تأثيرا كبيرا على المنطقة العربية، وأثرت على الدولة العثمانية تأثيرا مباشرا، وكان لها أثر كبير فيما بعد عليها – لمزيد من المعلومات أنظر كتاب، قلعجي، قدري، **الثورة العربية الكبرى 1916 إلى 1925م**، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان، 1994.

[21] الزركلي، خير الدين، **الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، لبنان بيروت، ج5، ص224.

[22] لم تذكر أي من المراجع أو موقع ويكيبيديا أن كريز ويل كان ضابطا في الجيش الإنجليزي، ذكرت فقط أنه عالم من علماء الآثار، في حين تحتفظ الجامعة الأمريكية بالقاهرة بجواز سفره وصورته بالزي العسكري البريطاني وقت تواجده في فلسطين.

[23] الزركلي، **الأعلام**، ص224.

[24] https://data.bnf.fr/en/12058975/keppel_archibald_cameron_creswell

[25] زكي، عبد الرحمن، **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام**، الطبعة الثامنة، 1987، مكتبة الأنجلو المصرية، ص233.

[26] Jerusalem 1918–1920, *Being the records of the Pro- Jerusalem Council during the Period of the British Military Administration*, Edited by C. R. ASHBEE, London, Council of the Pro-Jerusalem Society, 1921, p.67, 70.

[27] يعتبر المصور جيمس جراهام هو أول مصور مقيم بالقدس فى خمسينات القرن التاسع عشر، تلاه المصور ماكسيم دو كامب سنة 1852، تلاهم الأسقف ألبرت إسحاق وغيرهم – لمزيد من المعلومات عن التصوير في القدس انظر، تاريخ التصوير الفوتوغرافي في القدس. **http://www.alquds-online.org/index.php?s=articles&id=202**

[28] الحنبلي، **الأنس الجليل**، المخطوط السابق.

[29] العارف، **المفصل**، ص 303.

[30] العارف، **المفصل**، ص 303.

[31] سأعرض بعض صور لأسوار القدس وقلعة القدس فقط نظرا لكثرة أعداد الصور لدي.

[32] العارف، **المفصل**، ص 303: 304.

[33] نجم، رائف، **كنوز القدس**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص347.

[34] المرجع السابق، ص356.

[35] المرجع السابق، ص 354.

[36] المرجع السابق، ص128.

[37] الجبوري، أحمد حسين عبد، **القدس في العهد العثماني دراسة سياسية عسكرية إدارية**، الجزء الأول، ص 354: 355.

[38] العارف، **المفصل**، ص 305.

[39] المرجع السابق.

[40] المرجع السابق.